المحاضرة السابعة
شعراء المعلقات
أولاً : امرؤ القيس

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ، ويلقب بالملك الضليل ، والده « حجر » ملك بنى أسد ، وجده الحارث ملك كندة ، وأمه فاطمة أخت كليب والمهلهل ابنى ربيعة .

نشأ لاهيا مترفا ، وغرق شبابه فى العبث والغزل والسكر ، حتى ضاق به أبوه فطرده ، فلم يثنه ذلك عن الغرور واللذة ، فسار فى أحياء العرب ينشد اللهو والمتاع والصيد والشراب ، والتصدى للحسان ، يصادق الشذاذ من قبائل أسد وطيء وبكر بن وائل ، ويخرج معهم للصيد ، ويقضى معهم أياما يشرب ويطرب ويعابث النساء .

ذلك شطر من حياته — نشوة ومجون — أما شطرها الآخر فكان بعد مقتل أبيه إثر ثورة بنى أسد عليه ، وعلم الفتى اللاهى بمصرعه فقال :

« ضيعنى صغيراً ، وحملنى دمه كبيراً ، لاصحو اليوم ، ولاسكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا أمر » .

ثم نهض ليأخذ بثأر أبيه ، ويجلس على العرش من بعده ، قبيلة تنصره وأخرى تخذله ، وتصدى له المنذر ملك الحيرة ، وكسرى أنو شروان ملك الفرس ، وخذله الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الغساسنة وقيصر ملك الروم ، فأخذ يضرب فى الصحارى والبلاد يردد :

ولو أنما أسعى لأدنى معيشة ... كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

---

(٥) ارجع إلى مقدمة ديوان امرئ القيس .

ولكن المجد قد تأبى عليه ، فسلبت منه دنياه كل شيء ، وعثر فى نهاية مطافه على قبر لامرأة قالوا له : إنها من بنات الملوك ، فاطمأن إلى جوارها ، وجلس بجوار قبرها يردد :

أجارتنا إن المزار قريب ... وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبـــان ههنا ... وكل غريب للغـــريب نسيب

ثم حان حينه ، ففاضت روحه ، حيث تمنى أن تفيض ، وجمع التراب بين الأمير والأميرة ، ووسعهما باطن الأرض ، بعد أن ضاق بهما ظاهرها .

***

يكاد يلخص حياته فى شطرها الباسم قصيدته المعلقة ، التى تعد قمة المعلقات كما يعد صاحبها أمير الشعر فى العصر الجاهلى . واليك جانبا منها :

« من معلقة امرىء القيس »
عرض وشرح وتعليق

١ – وقفة على الأطلال :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسِقْط اللِّوَى بين الدَّخول فحومَلِ (١)

فتُوضِحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُهـــا ... لما نسجتْها من جَنوب وشَمألِ (٢)

ترى بعرَ الآرامِ فى عرصاتِهـــــا ... وقيعانِها كأنه حبُّ فُلفـــلِ (٣)

كأنى غداةَ البينِ يومَ تحمَّـــلوا ... لدَى سَمراتِ الحىِّ ناقفُ حنظلِ (٤)

---

(١) السقط : منقطع الرمل ، اللوى : رمل يعوج ويلتوى ، الدخول وحومل : موضعان .

(٢) توضح والمقراة : موضعان ، وسقط اللوى : بين هذه المواضع الأربعة . الرسم أثر الديار . نسيج الريحين : اختلافها عليها وستر إحداها إياها بالتراب وكشف الأخرى التراب عنها .

(٣) الآرام : الظباء البيض ، عرصات الديار : ساحاتها ، قيعان الديار : المستوى منها بالأرض . الفلفل : القنة .

(٤) الغداة : الضحوة . البين : الفرقة . تحملوا : ارتحلوا . السمرات : شجر الطلح . الحى : القبيلة . ناقف الحنظل : الذى يشقه فتدمع عيناه .

وقوفاً بها صحبى عَلَىَّ مطيَّهم ... يقولون : لاتَهلِك أسىً وتجمَّل (٥)

وإن شِفائى عبرة مُهراقةٌ ... فهل عندَ رسم دارس من معوَّل (٦)

كدأبِكَ من أمِّ الحُوَيرثِ قبلَها ... وجارتها أمِّ الرَّبابِ بمأسَلِ (٧)

إذا قامتا يضَّوَّع المسْكُ منهما ... نسيمَ الصبَّا جاءت برَيا القَرنفُل (٨)

ففاضَت دموعُ العَين منى صَبابةً ... على النَّحر حتى بلَّ دمعىَ محملى (٩)

هذه القصيدة هى معلقة امرئ القيس ، وهى من قصائده فى لهو حياته ، قالها فى التشبيب والفخر والوصف ، ومطلعها من أحسن المطالع ، لأنه وقف فيه واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر واحد .

إنه يتحدث عن أمكنة لها ذكريات لديه ، مر بها فوقف عندها ، فهاجت هذه الذكريات فطلب من صاحبيه الوقوف معه ليشاركاه عواطف الأسى ، فلهذه الأماكن أيام سعيدة لاتفارق خياله .

إنه يتأمل ما آلت إليه حالها ، فلا يستطيع أن يتماسك من شدة الحزن ، لقد كانت مواقع اللهو والحب والمرح ،وها هى ذى تسفعها الرياح، فتمحو آثارها مرة وتكشف عنها أخرى .

إن أهلها قد هجروها فسكنها الظباء من بعدهم فتركت آثارها هنا وهناك .

لقد فرقت القافلة بينى وبين من أحب ، ثم وقفت وحيداً فى ظل أشجار السمر أتابع ارتحال الحبيب ، فانهمرت دموعى غزيرة وكأننى ثاقب حب الحنظل الذى يجرى دمعه من حرارته .

---

(٥) المطى : المراكب واحدتها مطيه .

(٦) المهراق : المصبوب . المعول المبكى . أى لايجدى البكاء .

(٧) الدأب : العادة . مأسل : جبل معين .

(٨) تضوع المسك : انتشرت رائحته ، الريا : الرائحة الطيبة .

(٩) الصبابة : رقة الشوق . المحمل : حمالة السيف .

وهنا يتأثر صاحباه ، فيعزيانه بالصبر ، ويأمرانه بالتجلد ، فيجيبهما بأن البكاء يخفف ألمه ويغسل أحزانه ، ولكنه يدرك أن البكاء على الأطلال لا يرد من كان يسكنها ممن أحب .

وقد بكيت من قبل « أم الحويرث » . وجارتها « أم الرباب » ، وقد كانتا غاية فى الطيب فاذا تحركتا انبعث منهما الطيب العطر — لقد فاض الدمع غزيرا حبالها ، وهياماً بهما حتى انهمرت دموعى على حمائل سيفى ، ولكن البكاء لم يجد شيئاً :

***

« يوم دارة جلجل ويوم عقر مطيته للعذارى »

ألا ربَّ يومٍ لكَ منهن صـــالحٍ ... ولا سيَّما يومٌ بدارة جلجُـــل (١٠)

ويومَ عقرتُ للعَذارى مطيَّتى ... فيا عجبَا من كُورها المتحمَّل (١١)

فظلَّ العَذارى يرتَمين بلحْمهـــا ... وشحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمقْس المفُتَّل (١٢)

تُدار علينا بالسَّديفِ صحافُهـــا ... ويُؤتى إلينا بالعَبيط المثَمَّـــل (١٣)

ويومَ دخلتُ الخدرَ خدر عُنَيزَةٍ ... فقالت : لكَ الويلاتُ إنَّك مُرْجلى(١٤)

تقولُ وقد مال الغَبيطُ بنـــا معـاً ... عقرتَ بعيرى يا امرَأَ القيس فانزل(١٥)

فقلتُ لها سيرى وأرخِى زِمامَـــه ... ولاتُبعدينى عن جَناك المعلَّل (١٦)

---

(١٠) دارة جلجل : غدير بعينه :

(١١) للعذراء من النساء : للبكر : الكور : الرحل بأداته . فيا عجبا : فيا عجبى ، وقلبت الياء ألفا للنداء :

(١٢) الهداب : ما استرسل من الشىء : الدمقس : الحرير الأبيض :

(١٣ ، ١٤) تدار : يقصد تمر : السديف : شحم السنام : الصحاف : كالقصعة تشبع الخمسة : العبيط : الخالص الطرى : المثمل : الباقى : الخدر : الهودج : عنيزة : عشيقته : الويل : شدة العذاب : مرجلى : أرجلت الرجل صيرته سائرا على رجليه :

(١٥) الغبيط نوع من الرحال أو من الهوادج :

(١٦) جعل العشيقة بمنزلة الشجرة ، الجنى : الثمر : المعلل : المكرر و الملهى : علالت الصبى بفاكهة : ألهيته بها

المقطع الغزلي

أَفاطِمُ مهلاً بعضَ هذا التَّدلُّلِ
وإن كُنتِ قد أزمعتِ هجري فأجملي

مُهفهفةٌ بيضاء غير مُفاضةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسجنجلِ
تصدُّ وتُبدي عن أَسيلٍ وتتَّقي
بناظرةٍ من وحشِ وجرةَ مُطفلِ

تُضيءُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنَّها
منارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتلِ

مقطع وصف الليل

وليلٍ كموجِ البحرِ أَرخى سُدُلَهُ عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي
فقلتُ له لمَّا تمطَّى بصُلبهِ وأَردفَ أَعجازاً ونَاءَ بكلكلِ
أَلا أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ أَلا انجلِ
بصُبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَمثلِ

فيالكَ من ليلٍ كأَنَّ نجُومَهُ بكُلِّ مغارِ الفتلِ شُدَّتْ بيذبُلِ

مقطع وصف الفرس

يقول امرؤ القيس في معلقته:

وقد أغتدي والطَّيرُ في وكناتها
بمنجردٍ قيدِ الأوابد هيكلِ
مكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ
كُميتٍ يزِلُّ اللِّبدَ عن حال متنهِ
كما زلَّتِ الصَّفواءُ بالمتنزلِ
إلى آخر الأبيات ....

مقطع وصف الطبيعة:

أصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضهُ
كلمعِ اليدينِ في حبيٍّ مُكلَّلِ
يُضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهبٍ
أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المفتَّلِ
.....
وتيماءَ لم يترُك بها جذعَ نخلةٍ
ولا أُطُماً إلَّا مشيداً بجندلِ
كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وبلهِ
كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ
.....
كأنَّ السِّباعَ فيه غرقى عشيَّةً
بأرجائهِ القُصوى أنابيشُ عُنصلِ

أغراض وموضوعات معلقة امرئ القيس:

اشتملت هذه المعلقة على أغراض متنوعة يمكن ردها إلى ثلاثة أمور:

الأول: الغزل والتشبيب: ويندرج فيه بكاء الديار، والوقوف فيها، وعفى المطية للمذارع، ودخول خدر عنيزة، وحديثه معها ومع ظاهم، وتشبيه المرأة بأنواع من المشبهات، ووصف الليل والشكوى من طوله.

الثاني: وصف الخيل: ويندرج فيه وصف الوحش، وصيده و الأودية، ويتبعها حديثه مع الذئب.

الثالث: وصف الطبيعة: ويندرج فيه وصف الجبال والصحارى، والمطر والسيل، وآثاره.